

الرَّابِطَةُ الْإِيمَانِيَّةُ

يَرْتَبِطُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ بِرَوَابِطٍ وَصِلَاتٍ وَوَشَائِحَ شَتَّى مِنْهَا: النَّسَبُ وَالْمَصَالِحُ وَالظُّرُوفُ، وَالرَّغَبَاتُ وَالْأَهْوَاءُ الْمُشْتَرَكَةُ، وَيَدْخُلُ فِيهَا الْأَفْكَارُ الْبَشَرِيَّةُ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعَصَبِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي يَجْتَمِعُ عَلَيْهَا غَالِبُ الْبَشَرِ: يُقَاتِلُونَ وَيَسَالِمُونَ، وَلَكِنَّ كُلَّ هَذِهِ الرِّوَابِطِ سُرْعَانُ مَا تَنْفِصُمُ وَتَنْقُضُ، وَتَتَقَلَّبُ -أَحْيَانًا- إِلَى النَّقِيضِ؛ بَلْ إِلَى عَدَاوَاتٍ وَثَارَاتٍ بَيْنَ حُلَفَاءِ الْأَمْسِ رُبَّمَا تَكُونُ أَشَدَّ مَرَارَةً مِنْ كُلِّ الْعَدَاوَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهَا بَيْنَ أَعْدَاءِ الْأَمْسِ ... وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهَا أَهْوَاءٌ تَوَجَّجُهَا وَتُحَرِّكُهَا الشَّيَاطِينُ!



وَنظَرَةٌ إِلَى تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ فِي نَشَأَتِهَا تُرِينَا عَلَامَ يَجِبُ أَنْ يَلْتَقِيَ النَّاسُ؟ فَإِنَّ النَّاسَ جَمِيعًا بِجَمِيعِ أَلْوَانِهَا وَأَجْنَاسِهِمْ يَرْجِعُونَ إِلَى أَصْلِ وَاحِدٍ، لَا فَضْلَ لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ فَهُمْ جَمِيعًا يَرْجِعُونَ لِأَبٍ وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ زَوْجَهُ؛ فَكَانَ مِنْهُمَا الذَّرِّيَّةُ الَّتِي تَكَاثَرَتْ فَكَانَ مِنْهَا كُلُّ الْبَشَرِ؛

فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) «إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ دِينَكُمْ وَاحِدٌ، أَبُوكُمْ
 آدَمُ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
 وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء / ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي
 أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ [الأنعام /
 ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف / ١٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
 وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر / ٦].

فَالْكُلُّ يَرْجِعُ إِلَى آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، فَالْجَمِيعُ يَرْجِعُ فِي أَصْلِ خَلْقَتِهِ إِلَى
 التُّرَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
 تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ [الرُّومُ / ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

(١) رَوَاهُ الْبِرَّازُ (ح ٢٠٤٤، ٣٥٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَعَنْ حُدَيْفَةَ (ح ٢٠٤٣، ٣٥٨٤)، وَكَمَا فِي
 صَحِيحِ الْجَمَاعِ (ح ٤٥٨٦)، وَأَنْظُرْ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ (ح ٣٢٧٠)، وَحَسَنَهُ فِي صَحِيحِ الْجَمَاعِ (ح
 ٧٨٦٧)، وَأَنْظُرْ حَدِيثَ جَابِرٍ فِي "الدَّرِّ الْمَشْهُورِ" (٦ / ٩٨).

نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا ﴿١١﴾ [فَاطِر / ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا سُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ ۗ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [غَافِر / ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ [الْأَنْعَام / ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦٦﴾ [الحِجْر / ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [الْمُؤْمِنُونَ / ١٢ - ١٤].

فَكَانَتْ الْبَشَرِيَّةُ فِي طَوْرِهَا الْأَوَّلِ مُجْتَمِعٌ تَحْتَ رَابِطَةٍ وَاحِدَةٍ: أَصْلٌ وَاحِدٌ هُوَ التُّرَابُ، وَأَبٌ وَاحِدٌ هُوَ التُّرَابُ، يَجْمَعُهُمْ دِينٌ وَاحِدٌ هُوَ دِينُ أَبِيهِمْ آدَمَ دِينُ الْإِسْلَامِ، حَتَّى دَبَّتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ مَذَاهِبَ شَتَّى وَأُمَّمًا مُخْتَلِفَةً، وَتَعَدَّدَتِ الْأَلْهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَعُودَ النَّاسُ إِلَى حَظِيرَةِ الْحَقِّ وَإِلَى الدِّينِ الْوَاحِدِ الَّذِي كَانَ يَجْمَعُهُمْ قَبْلَ

اِخْتَلَفُوا فِيهِمْ وَبَغِيهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ نَبِيًّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة / ٢١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس / ١٩].

وَمَضَى النَّاسُ فِي رَكْبِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَشَرُوا مِنْ آدَمَ وَحَوَاءَ حَتَّى أَصْبَحُوا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات / ١٣]. (١)

فَمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا لِبُعْدِهِمْ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ

أَبُوهُمْ آدَمَ وَالَّذِي جَاءَتْ بِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ جَمِيعًا:
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
 أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل / ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٤٥﴾
 [الأنبياء / ٢٥]، فَالْبُعْدُ عَنْ هَذَا الْمَنْهَجِ يُؤَدِّي إِلَى تَقْطِيعِ الْأَوْاصِرِ وَالرَّوَابِطِ
 حَتَّى الْأَرْحَامِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ [مُحَمَّد / ٢٢].

فَالرَّابِطَةُ الْحَقَّةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَفَيَّأَ ظِلَالُهَا النَّاسُ مَا هِيَ إِلَّا رَابِطَةُ الْإِيمَانِ،
 فَالْإِيمَانُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَجْمَعُ النَّاسَ وَيُطَهِّرُهُمْ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ: تَصَوُّرٌ وَاحِدٌ،
 وَدَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ، إِنَّهُ سَبِيلُ اللَّهِ الَّذِي تَجْتَمِعُ حَوْلَهُ الْقُلُوبُ وَالْعُقُولُ وَالْأَرْوَاحُ
 لِتَقُومَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْإِيمَانِ كَأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
 وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾ [الأنبياء / ٩٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ
 هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٥٢﴾ [المؤمنون / ٥٢]، وَأَيُّ انْحِرَافٍ
 فِي التَّصَوُّرِ أَوْ النَّهْجِ أَوْ الْعِبَادَةِ، وَإِطَاعَةِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ، وَالْوُقُوعُ فِي
 الشُّبُهَاتِ؛ يُؤَدِّي إِلَى الْإِنْحِرَافِ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ الْأَوْحِدِ، فَقَدْ خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَطَأَ يَدَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: (١) «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا»، قَالَ: ثُمَّ خَطَأَ عَنِ يَمِينِهِ، وَشَأَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»؛ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام / ١٥٣].

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ ءَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ التَّنَصُّرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ الْكُبْرَى.

[الأنفال / ٧٢ - ٧٥]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة / ٧١].

فَمَعَسَكِرُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَلِيَّهُ اللَّهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة / ٢٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران / ٦٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) [المائدة / ٥٥، ٥٦]، وَأَيْضًا أَوْلِيَاءُ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (٣١) [فصلت / ٣١].

وَمَعَسَكِرُ أَهْلِ الْإِشْرَاقِ وَلِيَّهُ الشَّيْطَانُ؛ كَمَا مَرَّبْنَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة / ٢٥٧]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَفَتِنُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ [النساء / ٧٦]، وَكَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ: ﴿يَتَأْتِي إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ﴿٤٥﴾ [مريم / ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف / ٢٧]، وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١١﴾ [الجاثية / ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال / ٧٣].

وَلِذَلِكَ؛ فَلَا وَلايَةَ بَيْنَ الْمُعْسَكِرِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً وَيُحَذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨﴾ [آل عمران / ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٣٩﴾ [النساء / ١٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ءَأَرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿١٤٤﴾ [النساء / ١٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا

الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة / ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة / ٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة / ١]، وَلَا مُحَابَاةَ فِي هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة / ٢٣].

وَلِذَلِكَ؛ جَعَلَ اللَّهُ رَابِطَةَ الْإِيمَانِ إِخْوَةً فِي اللَّهِ دُونَهَا أَيُّ رَابِطَةٍ أُخْرَى، يَنْشَأُ عَنْهَا حُقُوقٌ وَوَاجِبَاتٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات / ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران /

[١٠٣]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ».

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهَذِهِ الرَّابِطَةِ وَنَعُصَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَنُحَافِظَ عَلَى هَذِهِ
الْأُخُوَّةِ الَّتِي أَمَّنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا.

(١) حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.